الانتكاك لانه لم يبنَ على دعائم ثابتة تقاوم الارياح والاعاصير التي تهب في وجه المعاشرة

ولما كان البحث في هذا الموضوع وهو من اهم مواضيع الاجتماع التي قام عليها بناء العمران لا ينتهي عند مقالة واحدة رايت ان اكتفي الآن بما تقدم على ان اعود لأيفاء الكلام عنه في اعداد المجلة المقدمة واختم الآن هذا المقال بنصيحة عامة اوجهها للآباء والامهات واخص بالذكر البنات وهي ان لا يُظهرنَ تمنعهنَّ عن اظهار نفوسهنَّ لكل رجل شريف يطلب الزواج الصحيح لان هناك كثير من الشبان لا يرغبون في الزواج لتلك العثرة التي يلقيها في وجوههم الآباء والامهات واذا كان في بعض هؤلاء الشبان من يشك في صدق نيته وعزيمته فلا يصعب تمييز رغبته وحرام علينا ان نأخذ الكل بجريرة البعض .

شمع عال

لا تندهشي يا حضرة القارئة ويا حضرة القارئ من هذا العنوان الذي توجت به رأس كلماتي هذه وقبل ان يتساءل كل منكم في نفسه عن السبب الذي لاجله اتخذت هذا العنوان . احكي لحضراتكنَّ وحضراتكم الحكاية حتى لا تطول حيرتكم وحتى يستريح فؤادكم وفؤادي

وواقعة الحال يا سيدتي الانسة ويا « سيدنا الافندي » اني خرجت غروب يوم ما ومعي طفلي الصغير وانا متضايقة من « دوشة البيوت »

وقصدت ان اشم « شوية هوا » ولما كانت ولا استحا في الحق « العين بصيرة واليد قصيرة» لان الازمة «وصحتها الازمة » الاخيرة لم تبق ولم تذر ركبت قطار الترام الى قصر النيل لانه لا سبيل بقى للعربية وعند آخر محطة نزلت ومسكت ابني بيميني وقطعت المسافة من محطة الترام لآخر الكبري « كمّابي » ثم من شدة الزحام زحام العربات والاتوموبيلات والمتنزهين والمتنزهات فضلت ان اكتفي من هذه الرياضة القصيرة بما استنشقتهُ من الهواء العليل وقفلت راجعة على رصيف الكبري الذي جئت منه ولم اكد اولي ظهري حتى صرخ العسكري الواقف زى الـ ... ايه ياسلام زي الـ.... لو . خ وقال ، من هنا ياست؛ طبعاً ما بيتجدعنش الا على امثالنا ويقصد «من هنا» ان انتقل من الرصيف الذي جئت منه واسمه رصيف الذهاب الى الرصيف المقابل له واسمه رصيف الاياب فلم ارد عليه وانتقلت مع شدة زحام العربات لا خوفاً منه لكن احتراماً للقانون لاني كنت قرأت التنبيه المعلق في واجهة الكبري ولما كنت ما زلت في الشرق لم اكترث بما جاء في هذا الاعلان لاني رأيت كثيرين من المارة ذاهبين آيبين على رصيف واحد بدون اعتراض من احد ولاني اعتقد ان كل الاوامر والتعليمات التي تصدرها الحكومة « حبر على ورق » وهذه ملحوظة لنظارة الاشغال ـ هذا كلام حق لانه لو كانت كل الاوامر والقوانين تنفذ بالضبط ويعرف كل واحد واحدة الواجب لما ترك البوليس بائع اللبن « بقرى » يمشي بهائمه على الرصيف فيزحم الناس ويمشي هو في عرض الشارع حتى ان مثل جناب اللورد كرومر يتخذ مثل هذا السبب حجة

على اننا لم نزل بعد عند اول سلم من درجات المدنية والارتقاء وبمثل هذه الاسباب سجل علينا الانحطاط في كتابه « مصر الحديثه ». نهايته. ولكي لا أخرج عن الموضوع اكمل لكم حكاية « شمع عال ». عدت على الرصيف الثاني للكوبري الى ان وصلت الى محطة الترام التي جئت منها وهناك عند هذه المحطة تبتدى حكايتي — « ازاي بق ؟ » عند محطة الترام في قصر النيل تماماً امام اجزاخانة وند سور موقف عربات ويظهر من وجود بائعة « شمع عال » كل ليلة بدون انقطاع عند هذا الموقف ان بيع الشمع فيه اروج من كل موقف اخر وقفت انتظر قدوم الترام وفي وقفتي هذه الدقائق استأنست بي فتاة في الحادية عشرة من عمرها كساها البؤس ثوباً قاتم اللون ولكنه لم يحجب عن الناظر اليها الذكاء المتوقد في عينيها. رأيتها تحمل كيساً ملآناً بالشمع على كتفها وهي واقفة على قدميها فاردت ان استفيد من محادثتها وان لا اضيع الدقائق التي اقفها في انتظار الترام « هباً منثوراً » على قول « اسيادنا النحويين » وانا اؤكد لحضراتكم اني استفدت من محادثة هذه الفتاة فايدة اجتماعية عظيمة. سألت هذه البائسة كم هو رأس مالها وكم يبلغ مكسبها كل ليلة نظير وقوفها على قدميها ست ساعات متواليات من السادسة مساء لمنتصف الليل. ما هي فائدتها ولذتها من مثل هذه التجارة التي كادت تنهك قواها وتقضي عليها. لاني رايتها كالوردة الذابلة التي عصفت ببهجتها الرياح وقد التوى غصن حياتها فمال الى السقوط وكاد البؤس يمتص نضارته. وهكذا تفعل الفاقة وغضاضة العيش بالاجسام فيتطرق الضعف اليها شيئاً فشيئاً ولا سبيل الى مقاومته وانى لبؤساء امثال

هذه الفتاة مقاومة شدائد الحياة ثم يلي الضعف الذبول وبعده تنطفي شعلة العمر قبل الاوان . هكذا تمثلت امامي ادوار الحياة في شخص هذه البائسة التي لما سألتها اسئلتي السابقة استجمعت من الضعف قوة ثم قالت

اسمعي يا سيدتي

عمري الآن على ما اسمع من امي احدى عشر سنة مضى عليّ منها خمس سنوات وانا ابيع الشمع للعربجية « الحوذيه » لان والدي توفى من هذا الوقت وتركني عالة على امي كما هي عاله على الدهر فاضطرت ان تبيع ما بقي لها بعده وانت تعرفين كم يبقى الدهر لامثالنا فجمعت من ثمنه ما اتخذته رأس مالها في تجارتها الحقيرة وتجارتي وهي تبيع « النابت » امام الحارة وانا ابيع الشمع كما تنظرين . وربحي يا سيدتي في الليلة يتراوح بين اربعة وخمسة غروش لانه يتوقف على القدر الذي ابيعه من الشمع واذا سألتي عن حالتي فانا مسرورة راضية قانعة بما خصني الله به من الرزق وفوق ذلك فاني اتمتع بمزية عظيمة تأتيني من بيع الشمع ولولا هذه التجارة لما كان لي سبيل للوصول الى مثل هذه المزية

— وما هي هذه المزية التي تتمنين بذكرها

— هذه المزية يا سيدتي اني انادي بأعلا صوتي « شمع عال » فاتلذذ من النغمة واتلذذ ان الناس يسمعوني ويضحكون في وجهي وهم في عرباتهم ويكفني فخراً « اني أُسمع الناس صوتي » . لم تفرغ الفتاة من القاء هذه الكليمات عليّ حتى جاء قطر الترام وانتقل سائقه من الخلف الى الامام ورفع الكمساري الحاجز الحديدي من اليمين الى اليسار ووضع بوقه في فمه

لينفخ في الركاب منبهاً وللسواق مشيراً بالقيام حتى تنبهت من سكرتي واسرعت في ركوب القطار قبل ان يتحرك

اقول تنبهت من سكرتي لان هذه الكلمات التي نطقت بها تلك الفتاة الساذجة وهي لا تفهم قيمتها اسكرتني ومن لا يسكر طرباً وسروراً عند ما يسمع فتاة في مثل هذه البساطة وفي وسط مثل وسطها تقول بملء فيها تريد أن يسمع الناس صوتها

وبينما سواق الترام يسير بالعربة مسرعاً والكمساري منهمك في تذاكره كان فكري غارقاً في بحر من التأملات تتلاطمه الامواج من كل ناحية وكنت استيقظ وتتنبه حواسي كلما تذكرت لكليمات تلك الفتاة التي اخترقت قلبي فوصلت الى اعماقه

تريد ان تسمع الناس صوتها . والناس يضحكون في وجهها !

لاشك انها لا تفهم معنى ضحك الناس في وجهها لانها لو فهمته لما طاوعتها بساطتها وسلامة قلبها على ذكره وهذا هو الواقع اذا قابلنا بين هؤلاء الذين بسط الله لهم العيش بسطاً وبين هذه البائسة الغارقة في البؤس وهي راضية قانعة بحالتها بينما كثيرون غيرها من الجالسين على قمة المجد الرافلين في ثوب الهنا لا يقنعون ولا يرضون . يضحكون في وجهها . من يقول ان السعادة تضحك في وجه البؤس وان الغني يحيّ الفقير بابتساماته وان ساكني القصور يصافحون ساكني الاكواخ اللهمّ الا افراداً قلائل يبعثهم الله من حين الى حين لينيروا ظلمة هذا العالم باعمالهم الخيرية الباهرة حتى لا يهلك الناس في الظلمة فتضل وجهتهم في طُرُق الحياة من شدة

مايعانونه من شدايدها ومثل هولاء يعدون من النوادر لا بل من خوارق الدهر

وقد علمنا الاختبار انه قل مَن يوجد بين الناس مَن تتجه وجهته لعمل الخير لمحض الخير لان من نراهم الآن يقومون ببعض الاعمال التي تليها مسحة المنفعة العمومية انما هم في الحقيقة يخدمون نفوسهم قبل كل شيء تراهم يتسابقون للاكتتابات اذا دعوا اليها احياناً . ولماذا ؟ سلهم واكشف عما تكنه اعماق قلوبهم من الاماني تجد انهم لم يكتتبوا الا وهم مدفوعون بعامل المفاخرة وحب الظهور بين الناس وقد يتفق انهم يكونون من احوج الناس لما يكتتبون به ولمن له يكتتبون . انني كلما قلبت فيما هو حولي من احوال الشرق اجد اننا لم نزل بعد في وسط ساذج لم يصل الى الدرجة التي تؤهله ان يراجع ماضيه

كنا بالامس نسبح في بحر من العمى والجهل واذا بنا اليوم نقترب من شواطئ العلم والمعرفة ولكننا لم نصل بعد الى المرفاء الحقيقي الجدير بأمة لينة الاخلاق كريمة الطباع اقل ما يقال فيها اشتهارها بالذكاء كامتنا المصرية . وقد سرني واطربني اني رأيت في العهد الاخير اننا بدأنا نستيقظ من سباتنا واننا حقيقة داخلون في دور النهضة الحقيقية واننا بدأنا لا نكثر من الاقوال قبل ان نظهر الاعمال . لما رأيت هذا الشعور خطر في بالي خاطر بدا في اول امره معي صغيراً ثم انتهى الان مجسماً كبيراً . وقد تجسم في نفسي هذا الخاطر خصوصاً بعد الحادثة التي دارت بيني وبين تلك الفتاة الساذجة البسيطة التي تبيع الشمع وتريد ان تسمع الناس صوتها فاذا كانت مثل هذه الفتاة وهي في حالتها تريد ان تسمع الناس صوتها

أفلا يجدر بمثلي وانا قادرة على اسماع الناس صوتي بوسائط نافعة مفيدة رأيت بعد التأمل ان من اخصها اصدار هذه المجلة لسد الفراغ الباقي لمثلها اذا سلمتم معي ان هنالك فراغاً يسعها وانا لا اقصد من هذه الخدمة غير نفع لبنيّ قومي وبنات جنسي لانه اذا قلنا ان مثل بائعة الشمع جديرة ان تسمع الناس صوتها فانا اجدر منها ان اسمع كل سيدة وكل آنسة وكل اديب صوتي بمثل هذه الواسطة وان كنت اعتقد ان ذنبي لأقدامي لمثل هذا العمل عظيم فاني ارجو ان تكون شفاعتكم لي اعظم

أنّات البائسات

يتيمة

ما لها في بكائها تزدادُ ... يا لشأنٍ اخنى فناحت سعادُ
ترسل الدمع يوقد النار في الخد ... كأنّ المياه للنار زادُ
تتلوى كأنها العود ينمو ... فيه للنار مأخذٌ واتقادُ
رنّح الريح معطفيه فيثنيه ... التثني من ثم يتلو امتدادُ
يا لخطب الفتاة جمّ ضناه ... قد عراني منه ضنىً مستفادُ
اخذتني منها برجفة قلب ... فكأني الاسير وهي القيادُ
حِرتُ في الامر عاجزاً عن سؤال ... انما الحال يشكو منه الجمادُ
فتنفستُ ثمّ في أنّة الباكي ... سألت الفتاة فيما النكادُ
وكأني فجرت منها عيوناً ... ما لتلك الدموع فيها نفادُ
فشهيق في زفرةٍ وزفيرٌ ... في شهيق ذابت له الاكبادُ